5/ حلقة براغ2

(بنفنيست)

5/ حلقة براغ2 (بنفنيست[1] E.*Benveniste*) :

تمهيد:

جاءت نظرية التّلفظ لتراجع التّصور الاختزالي لعملية التواصل اللغوي، حيث تداركت هذه النظرية الثغرات التي وقعت فيها المدارس البنوية بحصرها التواصل الإنساني في البنية النصية ومنهجها الوصفي، متجاهلة العناصر الخارجية المكونة لفعل التواصل، فمن خلال نظرية التلفظ التي تبنّتها حلقة براغ مع Emille Benveniste أعادت الاعتبار لتلك العناصر، وقدّمت رؤيةً جديدةً لعمليّة التلفظ، ويمكن اكتشاف الملامح الأولى للتّصور الجديد من خلال تعريف الخطاب من منظور بنفنيست.

1- مفهوم " الخطاب " عند بنفنيست:

بعد ظهور كتاب "محاضرات في اللسانيات العامة لـ"دو سوسير" وتمييزه بين اللغة والكلام ، أخذ مفهوم الخطاب في الاتساع والانتشار على الصعيدين؛ اللغوي والأدبي، واختلفت سُبل تحديد مصطلحه وتعريفه، فأبرز كل واحد منها خصيصة من خصائص الخطاب، ويعدّ "زليغ هاريس *Z.Harris* " أول من اهتم بالخطاب في إطار النموذج البنيوي ومبادئه القائمة على

[1] - ولد إميل بنفنيست يوم 27 ماي 1902 بحلب سوريا، و توفي يوم 3 أكتوبر 1976 بفرنسا،برز باحثا متميزا بأعمال في ميدان النحو المقارن للغات الهندو أوربية، وفي ميدان اللسانيات العامة. تتلمذ على يد "أنطوان مَيي" في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا التي درس فيها إلى غاية 1927، و من سنة 1937 درس في المدرسة الفرنسية، سجن في 1940 و بعد فراره من السجن التحق بسويسرا وبقي فيها إلى غاية 1945. توزع النتاج العلمي لإميل بنفنيست على خمسين سنة، انطلاقا من 1922، وقد كانت السنوات العشر الأولى تدور حول اللغة الإيرانية، إذ نشهد تأليف أربعة مراجع والعديد من المقالات، انطلاقا من 1932 يتوجه نحو اللسانيات المقارنة للغات الهندو أوروبيةk و يكتسب في هذه الفترة بالذات بعدا عالميا، وخاصة بنشره الرسالة الموسومة ب: les origins de la formation des noms en indo-europeen . ينظر: اللسانيات: النشأة والتطور، أحمد مؤمن، 2005، ديوان المطبوعات الجامعية، ص 136.

الاعتراف بالبنية الداخلية وشموليتها في الخطاب بمعزل عن السياق[1]، حيث عرّفه تعريفا لسانيا بأنّه (ملفوظ طويل أو عبارة متتالية من الجمل)، وحاول بموجبه توسيع حدود موضوع البحث اللساني بجعله يتعدى الجملة إلى الخطاب انطلاقا من تعريف "بلومفيلد" للجملة وتأكيده على وجود الخطاب رهينًا بنظام متتالية من الجمل تقدم بنية للملفوظ[2]. وعليه يمثلُ الخطاب في الفكر البراغي في مرحلته الثانية فعلَ النطق، أو فاعلية تقول وتصوغ في النظام ما يريد المتحدث قوله، فالخطاب كتلة نطقية لها طابع الفوضى، وحرارة النفس، ورغبة النطق بشيء ليس هو تماما الجملة، ولا هو تماما النص، بل فعل يريد أن يقول[3].

ومن ثمّة يأتي بنفنيست *Benveniste* برأي يخالف ما جاء به" هاريس" والتوزيعيين الذين وقفوا عند حد الملفوظ[4] (*énoncé*)، ولذلك يرى بنفنيست "أنّ موضوع الدراسة ليس الملفوظ بل التلفظ، وبهذا يمكن أن ندرسه ضمن مضامين نظرية التواصل ووظائف اللغة، إن التلفظ عنده عملية فردية فريدة في كل الظروف والحالات (...)، وهي أيضا وراء بنية وحدات لغوية تعبِّر عن نفاهيم إنسانية كمفهوم الشخص والزمان والمكان"[5]. و يعرِّف الخطاب باعتباره (الملفوظ منظورا إليه من وجهة آليات وعمليات اشتغاله في العملية التواصلية). وبمعنى آخر يحدد بنفنيست الخطاب بمعناه الأكثر اتساعا بأنّه بعدّه" كلّ تلفظ يفترض متحدثا ومستمعا، تكون للطرف الأول نية التأثير في الطرف الثاني بشكل من الأشكال"[6].

---

[1] فالمقاربات البنيوية تهتم بمختلف التعالقات بين مختلف الوحدات اللغوية، وتغفل النظر إلى العلاقات التي يقيمها الخطاب مع سياق إنتاجه. ينظر: ربيعة العربي: الحد بين النص والخطاب، مجلة علامات، ع33، 2010، ص35.

[2] سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي، (الزمن، السرد، التبئير)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب-بيروت، لبنان، ط3، 1997، ص17.

[3] يمنى العيد: في القول الشعري: في القول الشعري، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، 1987، ص12.

[4] ينظر: يعرف الملفوظ بكونه مجموع الوقائع الكلامية أو اللغوية التي يقوم بها المتكلم، وهو تمثيل جزئي للتلفظ يؤديه المتلفظ مؤكّدا أو آمرا أو مفترضا". ينظر: بشير إبرير: من لسانيات الجملة إلى علم النص، مجلة التواصل، جامعة باجي مختار - عنابة، ع 14، جوان 2005، ص73.

[5] بشير إبرير: من لسانيات الجملة إلى علم النص، ص73.

[6] Émile Benveniste, ***Problèmes de linguistique générale***, Gallimard, *collection*1, (Bibliothèque des sciences humaines), Paris, 1966, P. 246.

2- مفهوم التلفظ:

ينطلق بنفنيست، في بناء تصوره، من تجاوز الجملة بوصفها وحدة كبرى، والاستعاضة عنها بمفهوم جديد هو الخطاب، يقول:" فمع الجملة نترك مجال اللّسان بوصفه نظاما للعلامات، وندخل في عالم آخر، هو اللّسان بوصفه أداةً للتواصل، حيث التعبيرُ هو الخطاب"[1]، ولا شك أنّ هذه الطّفرة الانتقالية من مستوى الجملة إلى مستوى الخطاب ستفتح آفاقا جديدة للبحث اللساني، وسُتؤسّس منظورا مغايرا في دراسة الظّاهرة اللغوية تنظيرا وتطبيقا، وذلك بالاعتماد على عناصر خارج لسانية تتحكم في إنتاج الخطاب (العناصر المنتجة للخطاب).

من منطلق أنّ كثيرا من الأدلة Signes لا يمكن أن يكون لها مدلول Signifiés في انعزال عن ظرف التلفظ Situation d'énonciation، اهتمّ بنفنيست بالتلفظ متجاوزا الملفوظ، في إطار ما يصطلح عليه بالنموذج التلفّظيّ[2]، الذي يسمح لكل شخص بأن يؤدي دوره التلفظيّ في دورة التخاطب (بالمفهوم السوسيري)، فتلك العملية تمنح المتكلم (أنا) منزلة الفاعل في الخطاب في سياق تواصلي ما (زمكاني)، وعلاقة تتوفر بينه و بين المرسل إليه (أنت، أنتم...)، فكلّ هذه المعطيات تتحوّل بشكل أو بآخر إلى أدوات وعناصر (مشيرات Indicateurs) في سياق محدد، تساعد على دراسة عملية التلفظ وما يُنتجه من ملفوظات Enoncés ، ذلك من خلال تفعيل الملكة اللغوية-في ظروف التلفظ-بين المتلفِّظ Enonciateur والمشارك فيه Co-énonciateur.

ويرتبط التلفظ Enonciation بالاستعمال الفردي الذي يقوم به المتكلم أثناء التحدث، إنّه عملية الكلام التي يضطلع المتلفظ في لحظة معينة أمام الآخر، ومن ثم ميّز بنفنيست بين التلفظ بوصفه عملية إنتاج الكلام؛ أي فعل القول الذي يقوم به المتكلم والملفوظ، باعتباره نتيجة لعملية التلفظ؛ أي القول أو الخطاب الذي ينتجه المتكلم في سياق معين أمام مخاطَب معين، لذا

---

[1] Émile Benveniste, *Problèmes de linguistique générale*, P.130

[2] تندرج في خانته التحديدات التي تربط الخطاب بالتلفظ، وتعتمد هذه المقاربة على ربط العناصر اللغوية بعوامل خارجية، في إطار شروط إنتاج الخطاب وفهم آليات توظيف اللغة، ويعدّ " بنفنست" مؤسس هذه المقاربة التي سُمِّيت بنظرية التلفظ. ينظر: عمر بلخير: الخطاب وبعض مناهج تحليله، المجلة الفصليّة (*Campus*)، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، العدد الأول، جانفي، 2006، ص77.

لخّص بنفنيست مفهوم عملية التلفظ في كونها "ممارسة الفرد للغة" [1] .

تجدر الإشارة إلى أن الأدوار التلفّظية في هذه العملية – على اختلاف السياق والزّمكان- تواصليةٌ تبادليّة (تغذية راجعة)؛ إذْ يمكن لها في السياق ذاته أن تصبح مُتلفظا.وذلك على الشكل الآتي[2]:

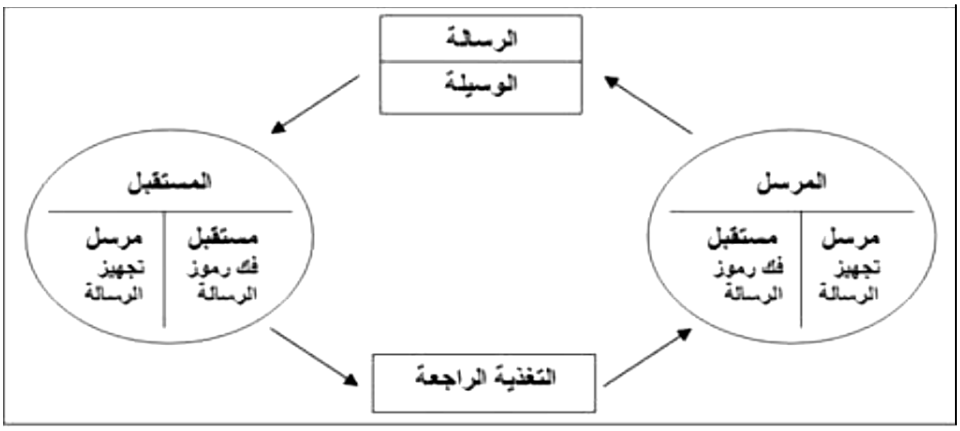

تتبدى لنا من خلال هذه الترسيمة الشبكة المفهومية الجديدة التي وظفها رائد نظرية التلفظ لإرساء معايير الخطابِ وأسسه، وهي تنبني على مكونين بارزين هما المخاطب والمخاطب بوصفهما طرفين مشاركين في عملية التلفظ، كما أسبغ بنفنيست البعد التواصلي الذي يضطلع به المتكلم بفعل التلفظ، إذْ إن الملفوظ يروم التأثير في المخاطب من خلال الاختيارات الملفوظية للمتلفِّظ. فقد كان اهتمام بنفنيست بتلك الأدلة التي لا يمكن إعطاؤها مدلولا إلا من خلال ظرف التلفظ؛ أي زمان ومكان وذوات المتحدثين أثناء التلفظ، من حيث لا يمكن للوحدات اللغوية التعبير عن معناها، إلاّ من خلال وضع المتحدث والمتحدث إليه، كونها أدلة لها مدلول بحسب أوضاع المتخاطبين مكانيا وزمانيا، وهي باختصار؛ مشيرات Indicateurs في سياق محدد .

انطلاقا من هذه الاعتبارات تنطلق نظرية التلفظ من توصيف الخطاب بناء على استشفاف الآثار اللسانية المحتضنة لعناصر عملية التلفظ، أي استخلاص:

- الملفوظ المسند إلى المتكلم.
- الملفوظ المسند إلى المخاطَب

[1] *E. Benveniste, Problèmes de Linguistique Générale, T1, P.12*

[2] جميل حمداوي: التواصل اللساني والسيميائي والتربوي، الألوكة، المغرب، ط1، 2015، ص06.

- الملفوظ المسند إلى الحالة التلفظية.

إن التلفظ Enonciation يرتبط بالاستعمال الفردي الذي يقوم به المتكلم أثناء التحدث، إنّه عملية الكلام التي يضطلع المتلفظ في لحظة معينة أمام الآخر، ومن ثم ميّز بنفنيست بين التلفظ Enonciation بوصفه عملية إنتاج الكلام؛ أي فعل القول الذي يقوم به المتكلم، والملفوظ Enoncé باعتباره نتيجة لعملية التلفظ أي القول أو الخطاب الذي ينتجه المتكلم في سياق معين أمام مخاطَب معين، لذلك لخّص بنفنيست مفهوم عملية التلفظ في كونها "ممارسة الفرد للغة" [1] .

نلحظ من هذه التحديدات أن نظرية التلفظ قد تخلصت من النزعة المعيارية التي لازمت البحث اللساني، والتفتت إلى عناصر تواصلية خارج لسانية، إذ تشكل آلية من آليات إنتاج المعنى داخل الملفوظ، بحيث يغدو الوقوف عندها أمرا لا غنى عنه في استجلاء الإطار المرجعي المتحكم في سيرورة الخطاب، وتتلخص هذه العناصر في طرفي العملية التلفظية: المخاطب والمخاطَب، وسياق التلفظ المتعلق بالزمان والمكان، والجدير بالذكر أن المتكلّم حاز مكانة مهمةً في اللسانيات التلفظية؛ حيث تنبّهت إلى قاعدة أساس مفادها أن كلّ إنتاج خطابي":يقتضي وجود متكلم منتج يشارك في عملية التلفظ بصورة مباشرة"[2]، وجعل المتكلِم مركز العناية لما يضطلع به من أدوار في عملية التلفظ، فهو يتشابك مع كل العناصر المكونة لهذه العمليّة، إذ يقيم "علاقة مع مخاطَبه، وكذلك مع ملفوظه لتتجسد في الأحداث الكلامية، والشيء الغالب في هذه الأحداث أنها تسمح للمتكلم بأن يخص نفسه بالحديث، وينظم حوله المعطيات المكانية والزمانية لمجموع الحيز التخاطبي"[3].

[1] *E. Benveniste, Problèmes de Linguistique Générale, T1, P.*12
[2] *Ibid, T1, P.*12
[3] ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، الجزائر، ط2، 2012، ص88.